الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

محاضرات في المسرح العربي الحديث والمعاصر

المستوى ثانية ماستر

إعداد وتنسيق : د . عبد العزيز بوشلالق

2019 / 2018

المحاضرة الأولى: المفهوم والنشأة :

رئيس اللجنة العلمية لقسم اللغة والأدب العربي

1 – تمهيد:

إن الأشكال المختلفة التي عرفها العرب والشعوب الإسلامية من المسرح ومن النشاط المسرحي لقرون طويلة قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

ترتبط بالعادات الاجتماعية والدينية التي عرفوها في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، والتي لم تتطور إلى فن مسرحي، كما حدث في أجزاء أخرى من العالم، بينما تبرز إشارات واضحة على أنهم أيام الخلافة العباسية قد عرفوا شكلا وًاحدا عًلى الأقل من الأشكال المسرحية المعترف بها و هو :مسرح" خيال الظل "الذي كان معروفا في ذلك العصر وكان يعتمد على ال هزل والسخرية والإضحاك.

فقد كان الخليفة" المتوكل "أول من أدخل في بلاطه مختلف الألعاب التي تبعث على التسلية وتصاحبها الموسيقي والرقص، حتى أصبحت قصور الخلفاء مكانا لتبادل النشاطات الثقافية مع البلدان الأجنبية، وكانت البدايات الأولى في صورة ممثلين يأتون من الشرقين الأدنى والأقصى ليقدموا تمثيلياتهم في قصور الخلفاء .هذا الجانب يخص صفوة القوم في تلك الحقبة من الزمن، أما عامة الناس فيجتمعون في أماكن التجمع ، حيث ينتشر القصاصون في الأسواق الشعبية وحارات بغداد، يقصون عليهم السير والنوادر والأخبار .مستخدمين أساليب الدهشة والإضحاك ، وطرق التأثير المختلفة، تمتزج فيها عادات وتقاليد مختلف

الشعوب ولهجاتهم ونوادرهم ، وفيها محاكاة لأصناف البشر والحيوانات، ومن أشهر هؤلاء في هذا العصر المعتضد" :ابن المغازلي."

لم تتوقف العروض التمثيلية منذ أيام العباسيين، ففي مصر الفاطمية والمملوكية ظل تيار من العروض التمثيلية مستمرا وًظلت المواكب السلطانية والشعبية قائمة لتسلية الناس وإمتاعهم .

2 - **تعريف المسرحية :**

جنس أدبي وافد، منتصف القرن الماضي، له أصوله اليونانية القديمة، له موضوعات خاصة ترتبط بفن التمثيل وفن الإخراج والديكور والعرض واللغة والحوار والشخصية.

يمكن التمييز بين مصطلحات كثيرة تشترك في المعنى العام وتختلف في الوظيفة منها:

المسرحية: هي النص المسرحي القابل لأن يمثل، بمعنى النص في صيغته الأدبية وفق خصائص المسرحية ومقوماتها قبل العرض.

المسرح : تعني المكان الذي تؤدى فيه المسرحية، وتعني النص المسرحي ممثلا على خشبة المسرح، ومعروضا على الجمهور، بمعنى أثناء العرض أو بعده بتقنيات المسرح وشروطه.

النص الدرامي: هو نص يحمل صبغة درامية ولا يشترط فيه أن يكون قابلا للتمثيل.

الشعر المسرحي: هو نص مكتوب شعرا بطريقة مسرحية تغلب عليه الغنائية ولا يحمل عناصر الدراما كالبناء الدرامي والصراع والحوار.

المسرح الشعري: هو النص المكتوب شعرا، لكنه قابل للتمثيل لأن البناء الدرامي يهيمن على العنصر الغنائي في القصيدة.

3 – جذور المسرحية عند العرب:

انقسم الباحثون العرب،ومعهم عدد من المستشرقين،المعنيين بالحركة المسرحية في الوطن العربي تاريخاً وواقعاً وآفاقاً،إلى فئتين:واحدة تقول بعدم معرفة العرب للمسرح الفني قبل منتصف القرن التاسع عشر وأخرى تخلط بين المفاهيم المسرحية ومصطلحاتها خلطا عجيبا تضيع بسببه الحدود الفاصلة بين مرحلة وأخرى من مراحل النشاطات المسرحية مما حدا بالبعض إلى ادعاء أنّ النشاط المسرحي عربي بالأصل أخذه منّا الغربيون، بين أشياء كثيرة أخرى، وطبعوه بطابعهم.

باعتبار وجود الشعر الغنائي بذاته دليل على وجود المادة المسرحية، لأنّ وجود الحوار البسيط في قصيدة ما دليل على وجود المسرح أيضاً. فالدكتور علي الراعي يقول على سبيل المثال لا الحصر":يمكن القول – بكثير من الوثوق – بأنّ العرب والشعوب الإسلامية عامة، قد عرفت أشكالا مختلفة من المسرح ومن النشاط المسرحي لقرون طويلة قبل منتصف القرن التاسع عشر.

ومنه يوجد رأيان متناقضان تناقضاً تاماً حول وجود المسرح في المجتمع العربي قبل منتصف القرن الماضي، فيذهب أصحاب الرأي الأول إلى أن الثقافة العربية لم تعرف المسرح قبل مارون النقاش، ويعتمدون جملة من الأسباب التي حالت دون ذلك، لأنهم

ينظرون إلى المسرح بتقنياته الغربية، ويؤكدون شروط وجود المسرح بعناصره الأربعة: المسرحية (النص)– الخشبة – الممثل – المتفرج، وهو بهذه غير معروف في المجتمع العربي قبل مسرحية "البخيل" لمارون النقاش، ويبيّن هؤلاء الأسباب التي حالت دون وجوده، وهي كثيرة، أهمها:

1– **عدم الاستقرار :** عاشت شعوب المنطقة حياة التنقل والترحال، في حين يتطلّب المسرح متفرّجاً مستقراً، ولم يعرف العرب الاستقرار في مدن في العصر الجاهلي .

2 – **ذوبان الشخص في القبيلة:** يتطلب المسرح شخصية متميزة اجتماعيا، بينما العربي منسجم ومندمج مع قبيلته، وذائب فيها.

3– **تحريم الإسلام تجسيد الصور التي لها روح** : وهي نظرة قاصرة على بعض المتزمتين، أو الذين لهم قراءات ضيقة، فالمسرح والسينما والتلفاز وسائل تعتمد على التصوير، ولا نجد أصواتاً في المجتمع العربي تعارض هذه الوسائل وتحّرمها لاعتمادها على التصوير، والإقبال عليها شعبيّاً في كل بقاع الوطن العربي دليل على ذلك.

3– **عدم السماح للمرأة في التمثيل:** المسرح يتطلّب مشاركة المرأة بينما الأعراف والتقاليد تقف عائقاً دون تحقيق هذا الشرط، مع أن المسرح الغربي لم يكن يعرف مشاركة المرأة في جميع عصوره، وقام الرجل بالأدوار النسائية إلى وقت متأخر في القرن الخامس عشر، ومع ذلك استمر المسرح، وعندنا أمثلة على رجال قاموا بأدوار نسائية على المسرح ونجحوا فيها.

4- **انتفاء الصراع في أوجهه المختلفة:** الصراع أساس المسرح، والصراع يحتاج إلى مجتمعات معقّدة، والمجتمع العربي ليس منها ، وهذه الصراعات في المسرح الإغريقي هي:

- **الوجه العمودي:** وهو ينجم عن تمرّد الفرد ضد النظام العلوي (إرادة الآلهة)، ويضرب مثالاً على ذلك بـ "برمثيوس"، وهو يلتقي في هذا الصراع مع الذين يذهبون إلى أن وثنية العرب في العصر الجاهلي كانت ساذجة لم ينجم عنها مسرح كما عند اليونان، أو الذين يذهبون إلى أن الإسلام دين التوحيد فرفض قبول أو ترجمة المسرح لتعدّد الآلهة فيه.
- **الوجه الأفقي:** ينجم عن تمرد الإنسان ضد قوانين المجتمع، مثل صراع "أنتيغونا"بمن يحيطون بها
- **الوجه الديناميكي:** ينجم عن رفض الإنسان لاستسلامه للمصير المقرر سلفاً (الفرس- اسخيلوس).
- **الوجه الداخلي:** وهو ينجم عن انقسام الذات الإنسانية إلى ذاتين متضادتين متصارعتين، بحيث يصبح الإنسان الواحد هو البطل والبطل المضاد، وهو الضحية والجلاّد معاً، ويضرب مثالا على ذلك بـ "أوديب- سوفوكليس".

5- **سوء ترجمة كتاب "فنّ الشعر" لأرسطو :** ظلّ هذا الكتاب النقدي الهام في العصر العباسي ولا يزال مرتكزاً لفنّي المأساة والملحمة، وكان بعض المترجمين من السريان يجهل اللغة العربية، أوليس ضليعاً في اللغة اليونانية، فلما توقف متى بن يونس عند مصطلح "التراجيديا" لم يجد ما يقابله في اللغة العربية، فنظر إلى السياق، فوجده يقوم على الحديث

عن النبلاء، فانصرف إلى ترجمته بـ"المديح" **1**، ولما توقّف عند مصطلح الكوميديا" ترجمه بـ "الهجاء"، وخاصة أنّ أرسطو يعرّف التراجيديا بأنها فنّ جميل يمتاز بالنبل وتمجيد البطولة، في حين تستهدف الكوميديا نقد المثالب والعيوب، فخلط المترجمون بين المسرح الشعري والشعر الغنائي، ثم أوغل ابن رشد في تلخيص كتاب أرسطو في الخطأ ذاته حين راح يطبّق المأساة على شعر المديح العربي في فصول هذا الكتاب، **2** ثم سار على نهجه حازم القرطاجي وسواه، ولذلك فإنّ هذا الخطأ الفاحش صرفهم عن ترجمة المسرح الإغريقي ظناً منهم أن ما عندهم من شعر يوازي ما عند الآخرين أو يماثله أو يتفوّق عليه، فانصرفوا عن ترجمة الأعمال المسرحية الخالدة التي درسها أرسطو في كتابه، من أمثال "أوديب ملكاً" و"الإلياذة" و"الأوديسة"، وكان على العرب أن ينتظروا إلى بداية النهضة لمعرفة هذا الفن الجميل، وعندي أن هذا السبب وجيه.

المحاضرة الثانية: مرحلة ما قبل المسرحية

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
رئيس اللجنة العلمية لقسم اللغة و الأدب العربي
كلية الآداب و اللغات

عرف العرب أنواعا من الفرجة وأنواعا من الأشكال الاحتفالية التي لا تعتمد على كل مقومات المسرحية، ولكن على بعضها منها:

1- **أسواق العرب في الجاهلية**، وأهمّها ما كان يحدث في سوق عكاظ من حضور بعض القبائل للفرجة والاستماع إلى شعرائهم ينشدون قصائدهم وتشجيعهم ضدّ شعراء القبائل الأخرى، وكان النابغة الذبياني - كما تروي كتب الأدب - يُدير ذلك العرض وينهيه بالحكم على هذا الشاعر أو ذاك" .

2- **مواكب خروج الخليفة**: بدأت بأعظم مظاهر للخلافة، يتقدّم الموكب فرقة من المشاة تحمل الرايات، وفرقة الموسيقى والفرسان، و بعد ذلك أرباب الدولة، ويهلّ الخليفة، وهو يرتدي طيلساناً أسود ممتطياً جواداً من خيرة الجياد العربية، ويتبعه رجال الدولة والحرّاس، وهذا الموكب هو عرض مسرحي يتوافر فيه العرض (الممثل) والمتفرج، ولكنه يظلّ بلا نصّ، وخشبته هي الشارع أو الساحة أو غيرهما. 3

3- **موسم العزاء في عاشوراء** : هي عروض تراجيدية تعيد على المتفرجين الذين يشتركون في الاحتفال، وهم من الطائفة الشيعية، تمثيل ما جرى عام 680 م في كربلاء بين جنود الحسين بن علي (ر) وجنود يزيد بن معاوية، حين استشهد الحسين وقُطع رأسه ومثّل بجثته، وهذا العرض من أهمّ العروض الاحتفالية القريبة من المسرح. يبدأ الاحتفال في العاشر من محرّم وينتهي في نهاية الشهر، ويرتدي فيه الممثلون والمتفرجون ثياب الحداد،

وتكون المشاهد تراجيدية فعلية، ولذلك من الصعب إيجاد ممثّل يؤدي دور شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين، ليس لأنه يضرب بالحجارة وترمى عليه القاذورات في أثناء العرض، ولكن لأنه يبقى ملعوناً إلى فترة عند أهل القرية، وتتحول في هذا العرض شخصيتا الحسين ويزيد إلى شخصيتين تراجيديتين، تمثّل الأولى الشخصية الخيرة، وتقابلها الشخصية الثانية الشريرة، ويذهب أحد الدارسين إلى أن عروض التعزية هي العروض الدرامية الوحيدة للشخصية التراجيدية في الأدب العربي الوسيط .

4- **المقامات:** أصول مسرح الظلّ تعود إلى فنّ المقامة" ويربط لنداو وعبد الحميد يونس وعلي الراعي" بين المقامة وفنّ المسرحية وعدّوا المقامة لوناً مسرحياً وأنها في أصلها أدب تمثيلي، كما أن أهمّ ما في المقامة أن أبا الفتح الإسكندري بطل مقامات الهمداني هو ممثل حقيقي في المقامات، فهو يقوم في كل مقامة بدور مختلف عن الآخر، وهو إما أن يكون متسولاً أو أعمى أو مهرجاً أو شيخاً أو شاباً أو غير ذلك، ويمكننا اعتباره ممثّلاً كوميديا .

5- **مسرح خيال الظلّ:** ويسمى أيضاً طيف الخيال (أراكوز)، وهذا المسرح أقرب ما ينتمي إلى المقامة، فالتشابه بينهما في اللغة والفكاهة وأحوال الشخصيات وارد، ولغة مسرح خيال الظلّ لا تختلف كثيراً عن لغة المقامة، ويبدو تأثير لغة المقامة واضحاً في بنية البابة من حيث التعلّق بالصنعة، ولكنّ لغة البابة تميل إلى السوقية في ألفاظها ومعانيها، وخاصة إذا وضعنا في الحسبان أن البابة تقدّم للمتفرجين من العامة في حين تقدّم المقامة

للمتعلمين للقراءة، وهذا يعني أن البابة أقرب إلى روح الشعب من جهة وأقرب إلى الكوميديا من جهة أخرى، وإن كان عنصر الفكاهة وارداً في الفنين معاً، ولكنه في المقامة أرقى لغة وأخلاقاً، وتقابل شخصية أراكوز شخصية أبي الفتح الإسكندري في مقامات الهمذاني وشخصية أبي زيد السروجي في مقامات الحريري.

وأهم من برز في تأليف البابات محمد بن دانيال (1248- 1311م)، وهو طبيب مصري قدّم ثلاث بابات لخيال الظلّ بالشعر والنثر المصنوع المقفى، وقد كتبت هذه البابات بهدف عرضها في خيال الظل، وهي "طيف الخيال –غريب وعجيب– المتيّم"، وهي أقرب أشكال (ماقبل المسرحية والمسرح" إلى المسرحية والمسرح، فشخصياتها كوميدية، وهدفها تقديم التسلية والضحك، وينتابها غير قليل من ألفاظ البذاءة، وتتوافر الشروط الأربعة فيها بنوع ما: النص –الخشبة– الممثل– المتفرج، وقد ذهب لنداو إلى أن خيال الظلّ مهّد الطريق أمام المسرح والسينما .